# الفصل الأخير

# مجادلة وشبهات

وفيه مقدمة الفصل وأربعة مباحث

المبحث الأول:مجادلة فلسفية

المبحث الثاني:بين النفس والشيطان

المبحث الثالث:توبة إبليس

المبحث الرابع:الحكمة من خلق إبليس

وفيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الأول:لماذا خلق الله ( إبليس )

المطلب الثاني:الحكمة في بقاء إبليس إلى آخر الدهر

obeikan.com

## مقدمة الفصل

في هذه الفصل سوف نتناول أمورا غير تقليدية ولكنها دور في خلد كثير من الناس وخاصة أهل الفلسفة وأهل الكلام وقد جادلوا فيها كثيرا هل إبليس مذنب؟ هل إبليس عاصي؟ إذا كان الله قد كتب عليه هذا الأمر، وهل أجرم إبليس عندما رفض السجود لغير الله إجلالا وتعظيما لله،وهل حاول إبليس أن يتوب عما اقترف من ذنوب وما الفرق بين وسوسة النفس ووسوسة الشيطان؟ خاصة وأن الله تعالى قال{ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ } [ يوسف: 53 ]وبعد هذا وذاك ما الحكمة من خلق إبليس؟هل خلقه الله تعالى لشقاء الناس؟ وما الحكمة في إنظار الله له ليوم الوقت المعلوم.

## المبحث الأول

## مجادلة فلسفية

لقد شحطت أفكار الكثير من الناس إلى أمور غاية في اليسر ومع ذلك أولوها اهتماما كبيرا، وفسروها كل تبع أهوائه وذلك لافتقداهم الدليل القاطع من ناحية وإتباعهم الأهواء من ناحية أخرى وعدم رسوخ العقيدة الصحيحة التي تحميهم من الزلل والسقوط في هاوية الضلال. لذلك سوف نجادل الفلاسفة في بعض أفكارهم التي تحاول أن تجد مبررات لإبليس عليه لعنة الله.

مع أن الأمر في منتهى اليسر ولا يحتاج لكل هذه المجادلات والافتراضات.

لأنه يكفي إبليس لغضب الله عليه معصية الله ورفضه لتنفيذ أوامر الله ثم تحدي الله والقسم بعزت الله بأنه سيستمر في إغواء آدم إلى يوم القيامة،ثم يطلب من ربه الانظار لا

ليتوب ولكن ليصر على معصية الله ويستمر في التحدي،ألا يكفي كل هذا لغضب الله عليه ويجعله شيطانا مريدا؟ وإن كان يكفيه الإصرار لينال هذه العقوبة.

والعجب كل العجب من كل متفيهق مدعي العلم والعبقرية الذي يحاول التماس المبررات الواهية التي يبرأ بها إبليس!

وقد ذكر الشهرستاني على سبيل المثال مجادلة إبليس لله، فقال إن إبليس سأل الله سبعة أسئلة:

**أولاً**: إذا كان الله قد علم قبل خلقي أي شيء يصدر عني ويحصل مني فلماذا خلقني أولاً وما الحكمة من خلقه إياي؟

**ثانياً**: وهو قد خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته، فلماذا كلفني بمعرفته وطاعته؟ وما الحكمة في هذا التكليف مع العلم انه لا ينتفع بطاعة أحد ولا يتضرر بمعصيته؟

**ثالثاً**: وهو حين خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة، فلماذا كلفني بطاعة آدم والسجود له؟ وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص؟

**رابعاً**: وإني لم ارتكب قبيحاً سوى قولي، لا اسجد إلا لك وحدك، فلماذا لعنتني وأخرجتني من الجنة وما الحكمة في ذلك؟

**خامساً**: وهو بعد ما لعنني وطردني فتح لي طريقاً إلى آدم حتى دخلت الجنة ووسوست له فأكل من الشجرة المنهي عنها. وهو لو كان منعني من دخول الجنة لاستراح آدم وبقى خالداً فيها، فما الحكمة في ذلك؟

**سادساً**: وهو بعد أن فتح لي طريقاً إلى آدم وجعل الخصومة بيني وبينه، لماذا سلطني على أولاده حتى صرت أراهم من حيث لا يروني وتؤثر فيهم وسوستي" فهو لو خلقهم على الفطرة دون أن يحولهم عنها فعاشوا طاهرين سامعين مطيعين لكان ذلك أحرى بهم وأليق بالحكمة.

**سابعاً**: وهو بعد ذلك أمهلني وأخّر أجلي إلى يوم القيامة، فلو انه أهلكني في الحال لاستراح آدم وأولاده مني ولما بقى عند ذلك شر في العالم. أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر؟([294]).

[294] )الشهر ستاني، الملل والنحل، ص 12.

إذا كان الأمر كذلك، فأين ثواب المطيع وعقاب المسيء؟

وإذا كان الأمر كذلك، عندئذ يكون من العبث خلق النار وحاشى لله أن يخلق شيئا عبثا.

أراها مجادلات لاتسمن ولا تغني من جوع إلا أنها مجرد سفسطة لاجدوى منها والأمر قد حسم والقضية قد حكم فيها حكم نهائيا فما جدوى كل هذه الترهات؟

## المبحث الثاني
## بين النفس والشيطان

الشيطان يوسوس للإنسان ويحتال عليه ليوقعه في المعاصي بشتى الطرق ويستميت في ذلك والكل يحمله مسئولية الإغواء، فهل هو فقط المسلط على الإنسان أم أن هناك عوامل أخرى تسعى للغواية؟

لقد أخبرنا الله على لسان زوجة العزيز أن هناك عامل ثاني ربما يكون أخطر من إبليس نفسه ألا وهي النفس الأمارة بالسوء فقال تعال: تعالى قال{ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ }وقال الشهر:

توق نفسك لا تأمن غوائلها.....فالنفس أخبث من سبعين شيطانا.

وهنا تدور في الذهن بعض الأسئلة،كيف نفرق بين وسوسة الشيطان ووسوسة النفس؟ كيف نفرق بين المعصية التي يكون الدافع فيها النفس والمعصية التي يكون الدافع فيها إبليس؟ وهل هناك معاصي معينة تتولى أمورها النفس، وأخرى لإبليس؟

هذا ما نحاول الإجابة عليه من خلال هذا المبحث.

### هناك نوعان من الوسوسة:

وسوسة الشيطان بالنسبة للإنسان..

ووسوسة النفس له فكيف نفرق بين وسوسة الشيطان، وسوسة النفس؟

الشيطان يريد الإنسان عاصيا على أي وجه..فلا يهمه نوع المعصية ولكن يهمه حدوثها.. فإذا حاول أن يغري الإنسان بالمال الحرام' ولم يجد منه استجابة.. أسرع يزين له المعصية مع النساء بارتكاب الزنا والفاحشة فإذا فشل في ذلك.. أسرع يزين له معصية الخمر

ويحاول أن يغريه بها فإن سدّ عليه كل منافذ المعصية.. أسرع يحاول أن يفسد له الطاعة بأن يجعله مقلا يتفاخر بالصدقة فيضيع ثوابها.. أو إذا جاء موعد الصلاة فإنه يحاول أن يمنعه من أدائها والإغواء لا يأتي قسرا أو قهرا.. فالشيطان ليس له سلطان القهر على الإنسان.. ولكن إذا أذّن للصلاة ـ مثلا ـ فإنه يغريه ألا يقوم إلى الصلاة وإنما يؤجلها حتى ينتهي الفيلم الذي يشاهده في التليفزيون.. فإذا انتهى الفيلم، يذكره بأعمال يؤديها.. كأن يتصل بصديق له بالتليفون.. أو يتناول العشاء أولا.. أو يقوم بزيارة كان قد نسيها إلى غير ذلك من أفاعيل الشيطان.

فإن كان الإنسان تاجرا.. فإنه يخوفه من أنه إذا قام للصلاة فستضيع منه صفقات ويضيع منه ربح.. وهكذا يظل ينقله من مشكلة إلى أخرى.. حتى يضيع وقت الصلاة.. أو ينصرف عنها بالتدريج.. فإن فشل في ذلك.. فإنه يوسوس له في وضوئه وصلاته.. فيقول له إنك لم تحسن الوضوء فأعده.. ويظل يشككه في وضوئه.. ثم يعيده مرات ومرات.. ثم بعد ذلك يشككه في صلاته.. حتى يعيدها مرات ومرات.. ويدخل الشك في نفس الإنسان.. فلا يعرف كم صلى.. ولا يعرف هل أحسن الوضوء أم لا؟

إذن فالشيطان لا يهمه نوع المعصية.. ولكن يهمه أن تتم المعصية

أما وسوسة النفس.. فهي أن تصر على نوع معين من المعصية... لا تريد غيره.. أي أنها تلح على صاحبها أن يرتكب معصية بذاتها ويكررها.. ولا تطالبه بمعصية أخرى.

## الفرق بين الوسوستين:

إذا كان من يوسوس لك لا يهمه إلا أن تقع في المعصية.. بصرف النظر عن نوعها.. فهذا هو الشيطان.. أما إذا كان هناك إصرار على معصية معينة ألفتها.. فذلك من نفسك

إذن إبليس دائما يأتي من الباب الذي يرى فيه المنهج ضعيفا.. فإذا وجد إنسانا متشددا في ناحية معينة يأتي إليه من ناحية أخرى يكون فيها ضعيفا.. فإذا كان الإنسان مثلا.. متشددا في الصلاة محافظا عليها ويؤديها في أوقاتها.. جاءه إبليس من ناحية المال فيوسوس له حتى لا يخرج الزكاة ويقتر ويأكل أموال الناس بالباطل مدخلا في نفسه الوهم بأن هذه

الطريقة تزيد ماله.. وتجعله غنيا وتبعد عنه الفقر.. والحقيقة غير ذلك.. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما نقص مال عبد من صدقة"([295])

لأن الصدقة هي التي تكثر المال.. وتضع بركة الله فيه ليزداد وينمو.. والمال هو مال الله يتركه كل منا عندما يرحل عن الدنيا.. ولكن غير المؤمن يغفل عن هذه الحقيقة

وحينما يجد إبليس إنسانا متشددا في الصلاة.. محبا للمال... يأتيه من ناحية ضعفه فيمنعه من الصدقة وأنواع البر ثم يغريه بالمال الحرام وتبدأ المعاصي تنسج على قلبه عودا عودا.. لتغطي القلب كله وتمنعه من ذكر الله.

وسوسة الشيطان القرين: قال تعالى:{قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}(ق:27 )،

فالقرين هو الشيطان الموكل بالإنسان في الدنيا، فهو يوسوس للإنسان بمعصية الله عز وجل وبترك الطاعات والنوافل وكل ما هو أولى عن طريق النفاذ والوصول إلى روحه، كما في رواية أنس عن قصة زيارة صفية النبي صلى الله عليه وسلم وهو معتكف، وخروجه معها ليلا ليردها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعا، فقال رسول الله: " ( على رسلكما، إنها صفية بنت حيي". فقالا سبحان الله يا رسول الله. فقال: " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا، أو قال: شرا"). فروح الإنسان هي التي تجري فيه مجرى الدم مكسبةً إياه علامات الحركة والإرادة والحس مما يفيد أن المقصود بجريان الشيطان مجرى الدم من ابن آدم هو وصوله ونفاذه إلى روح الإنسان ووسوسته لها بفعل السوء.

**ج) وسوسة شياطين الإنس وشياطين الجن:**

قال تعالى:{كَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}(الأنعام: 112).

فشياطين الإنس والجن (شياطين: مضاف، الإنس: مضاف إليه، الجن: معطوف على الإنس) تحتمل معنيين:

---

[295] ) أخرجه مسلم 6684..

**الأول**: شياطين من الإنس ( جمع إنسي شيطان) وشياطين من الجن ( جمع جني شيطان)، كقول حسنُ الخُلقِ أي خُلقٌ حسن.

**الثاني**: شياطين للإنس وشياطين للجن،كلا المعنيين صحيحين والجمع بينهما مفاده أن هنالك شياطين من الإنس وشياطين من الجن توسوس إلى الإنس كما أن هنالك شياطين من الجن توسوس للجن أما شياطين الإنس فلا تستطيع أن توسوس للجن وإنما تستطيع أن تستعين بهم. وفي سياق أنواع الوسوسة للإنسان سوف نأخذ بأحد التأولين لقوله تعالى {مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} (الناس: 4-6)،

وهو أن الشيطان الخناس الذي يوسوس في صدور الناس أي في صدور الإنس هو من الجنة والناس أي من جماعة الجن والإنس أي هنالك شياطين من الجن والإنس توسوس في صدور الناس من الإنس، وما يؤكد ذلك رواية أبي ذر عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ( أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد، فجلست، فقال: " يا أبا ذر ، هل صليت؟ ". قلت: لا . قال: " قم فصل" . قال: فقمت فصليت، ثم جلست فقال: " يا أبا ذر، تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن ".).

ولكن وسوسة شياطين الإنس للإنسان تكون بإلقائهم إليه ما يضره ولا ينفعه وليس بكلام خفي لأن الإنسان يرى شياطين الإنس وهم يرونه، أما وسوسة شياطين الجن للإنسان تكون بكلام خفي لأنه لا يراهم وهم يرونه. فإذا قيل كيف يمكن لشياطين الإنس أن توحي زخرفَ القول إلى شياطين الجن وهم لا يرونهم كما في قوله تعالى:{شَيَاطِيْنَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوْحِيْ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوْرًا}، يُقال:إنه عندما يستعيذ الإنسي الشيطان بالجني الشيطان من خلال السحر فإنه يستطيع أن يراه ويتحدث معه لقوله تعالى {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} (الجن:6).

فإبليس هو مصدر الوسوسة للإنسان لأنه رأس الشر قال تعالى (أفتتخذونه وذريته) فهو من يأمر الشياطين بالوسوسة للإنسان إما من خلال النفس الأمارة بالسوء و إما من خلال الشيطان القرين، لقوله عليه الصلاة والسلام: ( إنَّ إبليس يضع عرشه على الماء ثمَّ يبعث سراياه فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنةً يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وَكذا فيقول ما

صنعت شيئًا قال ثمَّ يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرَّقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت)([296]).

ولقوله تعالى:{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إبليس ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ* وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}(سبأ: 20-21)،

و قوله تعالى:{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (إبراهيم: 22).

فهذه الآيات الكريمة تُشير بوضوح إلى أن رأس الشر ومصدر الوسوسة هو إبليس وأن اللوم يوم القيامة يُلقى على إبليس وليس على الشيطان القرين أو على النفس الأمارة بالسوء أو على شياطين الإنس أو على شياطين الجن، وذلك لأنه هو رأس الشر.

أما غواية الجن فهي من إبليس وذريته، قال تعالى:{وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا}(الجن: 4)،

سفيهنا أي إبليس ونجد أن غواية الشيطان لجماعة الجن لم يُعبر عنها بلفظ الوسوسة ومشتقاتها لأن الوسوسة هي التكلم بكلام خفي والجن يرون إبليس وجماعته من الشياطين وبالتالي هم ليسوا مخفيين على الجن. وعند تدبر أحد التأولين لقوله تعالى:{مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}(الناس: 4-6)،

وهو أن الشيطان يُوسوس في صدور الناس من الإنس والجن أي أن الناس تشمل هنا كلا الجنسين الإنس والجن كما في قوله تعالى {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}، ولكن وسوسة الشيطان للإنس مختلفة عن وسوسته للجن، فوسوسته للإنس هي بكلام خفي لأن الشيطان مخفي على الإنس بينما وسوسته للجن هي بإلقائه إليهم ما يضرهم ولا ينفعهم وليس بكلام خفي لأنه ليس مخفي عن الجن فهو يراهم ويرونه لأنهم من نفس الجنس.

---

[296]) صحيح مسلم – الصفحة أو الرقم: 2813،جابر بن عبدالله.

أما الإنسان فهو لا يستطيع أن يُوسوس إلى الجن أو يُلقي إليهم قولاً لأنه لا يراهم، قال تعالى:{يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}(الأعراف:27)،

فقول (يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ) تعود على إبليس وجماعته أو أتباعه من الشياطين والجن وكلاهما من جنس الجن، قال تعالى:{إِلَّا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ }(الكهف:50).

فنحن المسلمون نؤمن بأن الجن والملائكة حقٌ رغم أننا لا نراهم والدليل على ذلك مثالٌ محسوس تقريبي فالهواء الذي يُحيط بنا في كل مكان هو موجود ونشعر به مع أننا لا نراه، مما يعني أن عدمَ رؤية الملائكة والجن لا ينفي وجودهما([297]).

## المبحث الثالث

## توبة إبليس

### هل لإبليس من توبة؟

سؤال ربما يخطر على بال بعض الناس وربما يجادل فيه المجادلون ويقول إن الله فتح باب التوبة ولم يستثني منها أحد فهل يدخل إبليس قي عموم اللفظ أم أن له وضع خاص؟

من المعروف لدى العقلاء . ومن باب أولى كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام . أن الأخبار من الله تعالى جاءت لتنص على أن إبليس من أهل جهنم، بل قل من حطبها، وأن هذه الأخبار لا تتعرض للنسخ بإجماع أهل العلم، بل بإجماع من به عقل، وإلا لأصبح الخبر كذباً، وحاشا لله أن يخبرنا أن إبليس من أهل جهنم، ثم نجده من أهل التوبة .! جاء في كتاب تليس إبليس لابن القيم: ذكر أن إبليس جاء إلى موسى صلوات الله تعالى وسلامه عليه فقال له: أنت الذي اصطفاك الله تعالى برسالته وكلمك تكليماً، وإنما أنا خلق من خلق الله تعالى أردت أن أتوب إلى ربك فاسأله أن يتوب عليّ ففرح بذلك موسى فدعا وصلّى ما شاء الله تعالى. ثم قال: يا رب إنه إبليس خلق من خلقك يسألك التوبة فتب عليه. فقيل له: يا موسى إنه لا يتوب. فقال: يا رب إنه يسألك التوب. فأوحى الله تعالى: إني استجبت

[297] )تفسير ابن كثير.

لك يا موسى فمره أن يسجد لقبر آدم فأتوب عليه فرجع موسى مسروراً فأخبره بذلك، فغضب من ذلك واستكبر ثم قال: أنا لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً..)

وذكره السيوطي عند تفسير قوله تعالى:{ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ }البقرة: الآيات 31-33] ،قال السيوطي في الدر النثور:"أخرج ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان عن ابن عمر قال: لقي إبليس موسى فقال: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وكلمك تكليماً إذ تبت؟ وأنا أريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب عليَّ قال موسى: نعم. فدعا موسى ربه فقيل: يا موسى قد قضيت حاجتك، فلقي موسى إبليس قال: قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك.

فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد له حياً أأسجد له ميتا ؟ ثم قال إبليس: يا موسى إن لك عليَّ حقاً بما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن. اذكرني حين تغضب فإني أجري منك مجرى الدم، واذكرني حين تلقى الزحف فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف. فأذكره ولده وزوجته حتى يولي، وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها). ([298])

وقد ورد هذا الحديث في حادثة أخرى مع نوح عليه السلام كما ذكره السيوطي في الدر المنثور في تفسير سورة هود فقال:وأخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر في مكايد الشيطان عن أبي العالية قال: لما رست السفينة سفينة نوح عليه السلام إذا هو بإبليس على كوتل السفينة...! فقال له نوح عليه السلام: ويلك قد غرق أهل الأرض من أجلك.؟! قال له إبليس: فما أصنع؟ قال: تتوب. قال: فسل ربك هل لي من توبة؟ فدعا نوح ربه، فأوحى إليه أن توبته أن يسجد لقبر آدم. قال: قد جعلت لك توبة قال: وما هي؟ قال: تسجد لقبر آدم. قال: تركته حياً وأسجد له ميتاً؟!

---

[298] ) ذكره السيوطي أيضاً في الجامع الصغير ورمز لضعف الحديث انظر فيض القدير 166/3.وكذلك فإن الشيخ الألباني قد ضعف الحديث في ضعيف الجامع الصغير ص 326 حديث رقم 2213 وذكر أن الحكيم الترمذي رواه في كتاب أسرار الحج .

وبهذا يظهر لنا أن الحديث غير ثابتٍ روايةً كم أنه مردود درايةً فالله سبحانه وتعالى لا يأمر أحداً من خلقه أن يسجد لقبر فإن السجود لغير الله شرك أكبر ويبدو أن الحديث من وضع بعض عباد القبور([299]).

فمدار الرواية الأولى((عن موسى )) على: (( عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير )) وقد:ضعفه الإمام أحمد، و قال ابن معين ذاهب، وضعفه النسائي وغيرهم.

والثانية((عن نوح)) مرسل من مراسيل أبي العالية الرياحي ، ومراسيل أبي العالية الرياحي رياح . هذا إن صح الإسناد إليه فلم أنظر فيه.ونخلص من ذلك أن إبليس ليس له توبة بل هو من المعلونين المطرودين من رحمة الله وقد قطع الله أنه متن حطب جهنم.

## المبحث الرابع

## الحكمة من خلق إبليس

### وفيه تمهيد ومطلبان:

**تمهيد:**

أسئلة ربما لايوجد على ظهر الأرض إنسان إلا ودارت هذه الأسئلة رأسه أي كانت ديانته وأي كان فكره،إذا كان إبليس منبع الشرور والآثام، وهو القائد إلى الهلاك الدنيوي والأخروي، ورافع الراية في كل وقت ومكان، يدعو الناس إلى الكفران، ومعصية الرحمن، فهل في خلقه من حكمة؟ وإذا كان فما هي هذه الحكمة؟

### المطلب الأول

### لماذا خلق الله ( إبليس )

سؤال يدور بخلد كل إنسان مؤمن وعاصي ومسلم وربما كافر.

أي حكمةٍ في خلق إبليس وجنوده؟!

والحقيقة هي أن في ذلك من الحكم ما لا يحيط بتفصيله إلا الله:

وقد تكفل بالإجابة على هذا الأمر أبن القيم رحمه الله في كتابه القيم

---

[299] ) وهذه طرق الرواية عن ابن أبي الدنيا، أخرجها من طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق– تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر (61/ 127)

شفاء العليل فقال ما نقول به في تصرف([300]): " في خلق إبليس وجنوده من الحكم ما لا يحيط بتفصيله إلا الله ".فمن ذلك:

1. ما يترتب على مجاهدة الشيطان وأعوانه من إكمال مراتب العبودية:

فمنها أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه، ومخالفته ومراغمته في الله، وإغاظته وإغاظة أوليائه، والاستعاذة به منه، واللجوء إليه أن يعيذهم من شرّه وكيده ، فيترتب على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه ... والموقوف على الشيء لا يحصل بدونه.

2. خوف العباد من الذنوب:

ومنها خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعدما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه، وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المنزلة الإبليسية يكون أقوى وأتم، ولا ريب أن الملائكة لما شاهدوا ذلك، حصلت لهم عبودية أخرى للرب تعالى، وخضوع آخر، وخوف آخر، كما هو المشاهد من حال عبيد الملك إذا رأوه قد أهان أحدهم الإهانة التي بلغت منه كل مبلغ، وهم يشاهدونه، فلا ريب أن خوفهم وحذرهم يكون أشد.

3. جعله الله عبرة لمن اعتبر:

ومنها أن الله جعله عبرة لمن خالف أمره، وتكبر عن طاعته، وأصرّ على معصيته، كما جعل ذنب أبي البشر عبرة لمن ارتكب نهيه، أو عصى أمره، ثم تاب وندم ورجع إلى ربه، فابتلى أبوي الجن والإنس بالذنب، وجعل هذا الأب عبرة لمن أصرّ وأقام على ذنبه، وهذا الأب عبرة إن تاب ورجع إلى ربه، فلله كم في ضمن ذلك من الحكم الباهرة، والآيات الظاهرة.

4. جعله فتنة واختباراً لعباده:

ومنها أنّه محك امتحن الله به خلقه، ليتبين به خبيثهم من طيبهم، فإنه – سبحانه – خلق النوع الإنساني من الأرض، وفيها السهل والحزن، والطيب والخبيث، فلا بد أن يظهر ما كان في مادتهم، ففي الحديث عن أبي موسى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

---

[300] ) ابن القيم،شفاء العليل،ص322.

( إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جمع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأبيض والأسود، والسهل والحزن، والطيب والخبيث) .([301]).

فما كان في المادة الأصلية فهو كائن في المخلوق منها ، فاقتضت الحكمة الإلهية إخراجه وظهوره، فلا بدّ إذاً من سبب يظهر ذلك، وكان إبليس محكّاً يميز به الطيب من الخبيث ، كما جعل أنبياءه ورسله محكّاً لذلك التمييز، قال تعالى :{ مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}[ آل عمران : 179 ] ، فأرسل رسله إلى المكلفين، وفيهم الطيب والخبيث، فانضاف الطيب إلى الطيب، والخبيث إلى الخبيث .

واقتضت حكمته البالغة أن خلطهم في دار الامتحان، فإذا صاروا إلى دار القرار يميز بينهم، وجعل لهؤلاء داراً على حدة، ولهؤلاء داراً على حدة، حكمة بالغة، وقدرة باهرة.

5. إظهاره كمال قدرته سبحانه بخلق الأضداد:

ومن هذه الحكم أن يظهر كمال قدرته بخلق الأضداد، مثل جبريل والملائكة وإبليس والشياطين، وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطانه؛ فإنه خالق الأضداد كالسماء والأرض، والضياء والظلام، والجنة والنار، والماء والنار، والحر والبرد، والطيب والخبيث.

6. الضد يظهر حسنه الضد:

ومن هذه الحكم أنَّ خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده، فإنَّ الضد إنما يظهر حسنه بضده، فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل، ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنى.

7. الابتلاء به إلى تحقيق الشكر:

ومن هذه الحكم أنه سبحانه، يحبّ أن يشكر بحقيقة الشكر وأنواعه، ولا ريب أن أولياءَه نالوا بوجود عدو الله إبليس وجنوده ، وامتحانهم به من أنواع شكره ، ما لم يكن ليحصل لهم بدونه ، فكم بين شكر آدم وهو في الجنة ، قبل أن يخرج منها ، وبين شكره بعد أن ابتلي بعدوه ، ثم اجتباه ربه ، وتاب عليه وقبله .

8. في خلق إبليس قيام سوق العبودية:

ومنها أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب العبودية إلى الله سبحانه ، وهذه العبودية إنما تتحقق بالجهاد وبذل النفس لله، وتقديم محبته على كل ما سواه فالجهاد ذروة

[301] ) رواه أحمد والترمذي وأبو داود.

سنام العبودية ، وأحبها إلى الرب سبحانه ، فكان في خلق إبليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتوابعها التي لا يحصي حكمها وفوائدها ، وما فيها من المصالح إلا الله .

9. وترتب على ذلك ظهور آياته وعجائب قدرته:

ومن هذه الحكم أن في خلق من يضاد رسله ويكذبهم ويعاديهم، من تمام ظهور آياته، وعجائب قدرته، ولطائف صنعه ما وجوده أحب إليه وأنفع لأوليائه من عدمه، كظهور آية الطوفان، والعصا، واليد، وفلق البحر، وإلقاء الخليل في النار، وأضعاف ذلك من آياته، وبراهين قدرته، وعلمه، وحكمته، فلم يكن بُدّ من وجود الأسباب التي يترتب عليها ذلك.

10. الخلق من النار آية:

ومن هذه الحكم أن المادة النارية فيها الإحراق والعلو والفساد، وفيها الإشراق والإضاءَة والنور، فأخرج منها – سبحانه – هذا وهذا، كما أنّ المادة الترابية الأرضية فيها الطيب والخبيث، والسهل والحزن، والأحمر والأسود والأبيض، فأخرج منها ذلك كله حكمة باهرة وقدرة باهرة، وآية دالة على أنه ( ليس كمثله شيء وهو السَّميع البصير ) [ الشورى: 11] .

11. ظهور متعلقات أسمائه:

ومن هذه الحكم أن من أسمائه الخافض الرافع، المعزّ المذِّل، الحكم العدل، المنتقم، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحكامها، كأسماء الإحسان والرزق والرحمة ونحوها، ولا بدّ من ظهور متعلقات هذه وهذه.

12. ظهور آثار تمام ملكه وعموم تصرفه:

ومن هذه الحكم أنه سبحانه الملك التام الملك، ومن تمام ملكه عموم تصرفه وتنوعه بالثواب والعقاب ، والإكرام والإهانة والعدل، والفضل والإعزاز والإذلال، فلا بدّ من وجود من يتعلق به أحد النوعين، كما أوجد من يتعلق به النوع الآخر

13. وجود إبليس من تمام حكمته تعالى:

ومن هذه الحكم أن من أسمائه الحكيم ، والحكمة من صفاته – سبحانه – وحكمته تستلزم وضع كل شيء في موضعه الذي لا يليق به سواه ، فاقتضت خلق المتضادات ، وتخصيص

كل واحد منها بما لا يليق به غيره من الأحكام والصفات والخصائص، وهل تتم الحكمة إلا بذلك ؟ فوجود هذا النوع من تمام الحكمة، كما أنه من كمال القدرة.

14. حمده تعالى على منعه وخفضه:

ومنها أن حمده – سبحانه – تام كامل من جميع الوجوه ، فهو محمود على عدله ومنعه ، وخفضه ورفعه ، وانتقامه وإهانته ، كما هو محمود على فضله وعطائه ، ورفعه وإكرامه ، فله الحمد التام الكامل على هذا وهذا ، وهو يحمد نفسه على ذلك كله ، ويحمده عليه ملائكته ، ورسله وأولياؤه ، ويحمده عليه أهل الموقف جميعهم ، وما كان من لوازم كمال حمده وتمامه ، فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة ، كما له عليه الحمد التام ، فلا يجوز تعطيل حمده ، كما لا يجوز تعطيل حكمته .

15. وبخلقه يظهر الله لعباده حلمه وصبره:

ومنها أنه – سبحانه – يحب أن يظهر لعباده حلمه وصبره، وأناته، وسعة رحمته، وجوده، فاقتضى ذلك خلق من يشرك به، ويضاده في حكمه، ويجتهد في مخالفته، ويسعى في مساخطه، بل يشبهه سبحانه وتعالى ، وهو مع ذلك يسوق إليه أنواع الطيبات، ويرزقه، ويعافيه، ويمكن له من أسباب ما يلتذ به من أصناف النعم، ويجيب دعاءَه، ويكشف عنه السوء، ويعامله من بره وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كفره وشركه وإساءَته، فلله كم في ذلك من حكمة وحمد.

ويتحبب إلى أوليائه ويتعرف بأنواع كمالاته، كما في الصحيح عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله ، يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم) .([302]) .

16. خلق الله خلقه بحيث يظهر فيهم أحكام أسمائه وصفاته وآثارها:

فالله سبحانه لكمال محبته لأسمائه وصفاته اقتضى حمده، وحكمته أن يخلق خلقاً يظهر فيهم أحكامها وآثارها، فلمحبته للعفو خلق من يحسن العفو عنه، ولمحبته للمغفرة خلق من يغفر له، ويحلم عنه، ويصبر عليه، ولا يعاجله، بل يكون يحب أمانه وإمهاله.

[302] )متفق عليه.

ولمحبته لعدله وحكمته خلق من يظهر فيهم عدله وحكمته ، ولمحبته للجود والإحسان والبر خلق من يعامله بالإساءَة والعصيان، وهو سبحانه يعامله بالمغفرة والإحسان ، فلولا خلقه من يجري على أيديهم أنواع المعاصي والمخالفات ، لفاتت هذه الحكم والمصالح وأضعافها وأضعاف أضعافها، فتبارك الله رب العالمين، وأحكم الحاكمين، ذو الحكمة البالغة، والنعم السابغة، الذي وصلت حكمته إلى حيث وصلت قدرته، وله في كل شيء حكمة باهرة، كما أن له فيه قدرة قاهرة وهدايات.

17. ما حصل بسبب وجود الشيطان من محبوبات للرحمن:

فكم حصل بسبب هذا المخلوق البغيض للرب، المسخوط له من محبوب له تبارك وتعالى، يتصل في حبه ما حصل به من مكروه ، والحكيم الباهر الحكمة هو الذي يحصل أحب الأمرين إليه باحتمال المكروه الذي يبغضه ويسخطه ، إذا كان طريقاً إلى حصول ذلك المحبوب. ووجود الملزوم بدون لازمه محال .

فإن يكن قد حصل بعدو الله إبليس من الشرور والمعاصي ما حصل ، فكم حصل بسبب وجوده ، ووجود جنوده من طاعة هي أحب إلى الله وأرضى له من جهاد في سبيله ، ومخالفة هوى النفس وشهوتها له ، ويحتمل المشاق والمكاره في محبته ومرضاته ، وأحبّ شيء للحبيب أن يرى محبّه يتحمل لأجله من الأذى والوصب ما يصدق محبته .

18. محبته سبحانه أن يكون ملاذاً ومعاذاً لأوليائه:

وفي هذا يقول ابن القيم: " كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء أنه يجود ويعطي ويمنح، فمنها أنّه يعيذ وينصر ويغيث، فكما يحب أن يلوذ به اللائذون يحب أن يعوذ به العائذون، وكمال الملوك أن يلوذ بهم أولياؤهم، ويعوذوا بهم.

أنتهيبنا من بيان الحكمة من خلق إبليس لنكن على يقين من أن الله سبحانه وتعالى ما خلق شيئاً ولا حكم بشيء إلا وله فيه الحمد. فوصل حمده إلى حيث وصل خلقه وأمره، حمداً حقيقياً يتضمن محبته والرضا به وعنه والثناء عليه والإقرار بحكمته البالغة في كل ما خلقه وأمر به. فتعطيل حكمته غير تعطيل حمده، فكما أنه لا يكون إلا حميداً فلا يكون إلا حكيماً، فحمده وحكمته كعلمه وقدرته وحياته من لوازم ذاته. ولا يجوز تعطيل شيء من صفاته

وأسمائه عن مقتضياتها وآثارها، فإن ذلك يستلزم النقص الذي يناقض كماله وكبرياءه وعظمته.

فتبارك الله رب العالمين وأحكم الحاكمين، ذو الحكمة البالغة والنعم السابغة. الذي وصلت حكمته إلى حيث وصلت قدرته، وله في كل شيء حكمةٌ باهرة، كما أن له فيه قدرة قاهرة وهدايات إنما ذكرنا منها قطرة من بحر . وإلا فعقول البشر أضعف وأقصر من أن تحيط بكمال حكمته في شيء من خلقه.

## المطلب الثاني

## الحكمة في بقاء إبليس إلى آخر الدهر

كما تحدثنا عن العلة من خلق إبليس وعن الحكمة منها، نفس الحال والمقام ما الحكمة التي تجعل الله سبحانه وتعالى يمهل إبليس إلى أخر الدنيا إلى يوم الوقت المعلوم تحدث الكثير والكثير من العلماء عن الحكمة من الإنظار والتي يمكن إجمالها في العناصر التالية:

1) امتحان العباد:

فمما ذكره رحمه الله تعالى: أنّ الله جعله محكّاً ومحنة يخرج به الطيب من الخبيث، ووليّه من عدوه، ولذا اقتضت حكمته إبقاءَه ليحصل الغرض المطلوب بخلقه ، ولو أماته لفات ذلك الغرض، كما أن الحكمة اقتضت بقاء أعدائه الكفار في الأرض إلى آخر الدهر، ولو أهلكهم ألبتة لتعطلت الحكم الكثيرة في إبقائهم ، فكما اقتضت حكمته امتحان أبي البشر، اقتضت امتحان أولاده من بعده به، فتحصل السعادة لمن خالفه وعاداه، وينحاز إليه من وافقه وولاه.

2) أبقاه مجازاة له على صالح عمله السابق:

ومنها أنه لما سبق حكمه وحكمته أنه لا نصيب له في الآخرة، وقد سبق له طاعة وعبادة، جزاه بها في الدنيا بأن أعطاه البقاء فيها إلى آخر الدهر، فإنه سبحانه لا يظلم أحداً حسنة عملها، فأمّا المؤمن، فيجزيه بحسناته في الدنيا والآخرة، وأمّا الكافر، فيجزيه بحسناته ما عمل في الدنيا، فإذا أفضى إلى الآخرة، لم يكن له شيء، كما ثبت هذا المعنى في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

3) أملى له ليزداد إثماً:

وبقاؤه إلى يوم القيامة لم يكن كرامة في حقه، فإنّه لو مات كان خيراً له، وأخف لعذابه ، وأقل لشره، ولكن لما غلظ ذنبه بالإصرار على المعصية ومخاصمة من ينبغي التسليم لحكمه، والقدح في حكمته، والحلف على اقتطاع عباده ، وصدهم عن عبوديته، كانت عقوبة الذنب أعظم عقوبة بحسب تغلظه، فأبقي في الدنيا، وأملى له ليزداد إثماً، على إثم ذلك الذنب، فيستوجب العقوبة التي لا تصلح لغيره ، فيكون رأس أهل الشرّ في العقوبة، كما كان رأسهم في الشر والكفر. ولما كان مادة كل شر فعنه تنشأ، جوزي في النار مثل فعله، فكل عذاب ينزل بأهل النار يبدأ فيه، ثم يسري منه إلى أتباعه عدلاً ظاهراً وحكمة بالغة.

4) وأبقاه ليتولى المجرمين:

ومن حكم إبقائه إلى يوم الدين أنّه قال في مخاصمته لربّه:{أرأيتك هذا الَّذي كرَّمت عَلَيَّ لئن أخَّرتن إلى يوم القيامة لأحتنكنَّ ذريَّته إلاَّ قليلاً}[الإسراء:62] .

وعلم الله – سبحانه – أن في الذرية من لا يصلح لمساكنته في داره، ولا يصلح إلا لما يصلح له الشوك والروث أبقاه له، وقال له بلسان القدر: هؤلاء أصحابك وأولياؤك، فاجلس في انتظارهم، وكلما مرّ بك واحد منهم فشأنك به، فلو صلح لي ما ملكتك منه، فإني أتولى الصالحين، وهم الذين يصلحون لي، وأنت ولي المجرمين من الذين غنوا عن موالاتي وابتغاء مرضاتي، قال تعالى:{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ*إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: 99-100](303).

303 )ابن القيم،شفاء العليل،ص327.